

اجتهادات الثقافة السياسية لا تكفى

شاع لوقت طويل اعتقاد قوى فى أن وجود قيم ديمقراطية فى ثقافة المجتمع السياسية شرط أساسى لبناء النظام الديمقراطى واستمراره. ومن أكثر المقولات المعبرة عن المعنى المتضمن فى هذا الاعتقاد أن الديمقراطية ليست مؤسسات وإجراءات فقط، بل قيم فى الثقافة السياسية أيضاً مثل قبول الآخر، واحترامه، أيًا يكون الخلاف معه والاختلاف عنه. غير أن الانتخابات الرئاسية الأمريكية، التى تحولت إلى معركة سياسية وقانونية قضائية ضارية، حفلت بممارسات تدفع إلى التفكير فى مراجعة هذا الاعتقاد، خاصة، حين يوجد انقسام شديد فى المجتمع على النحو الذى نتابعه فى الولايات المتحدة فى السنوات الأخيرة. فقد صارت هذه القيم راسخة فى المجتمع الأمريكى بعد تراكم تدريجى بدأ منذ نهاية القرن الثامن عشر. وعندما انتهى بسلام النزاع على نتيجة ولاية فلوريدا، فى انتخابات الرئاسة عام 2000، واحترم الخاسر حكم القضاء بشكل فوري، كان هذا دليلاً على قوة القيم الديمقراطية. ولكن ما لم يكن ظاهراً حينذاك أن نشوب هذا النزاع يُعد مؤشراً إلى بداية تحول يعبر عن انقسام كامن فى المجتمع. وعلى مدى عقدين، ازدادت المؤشرات الدالة على أن هذا الانقسام يزداد قوة وعمقاً حتى بلغ ذروته بانتخاب دونالد ترامب عام 2016، واشتد خلال فترة إدارته. ولذلك، لم نجد أثراً ملموساً لقيم الثقافة الديمقراطية فى سلوك المرشحين فى الانتخابات الأخيرة، إذ تحول التنافس بينهما إلى خصومة حادة من جانب جو بايدن، وعداء من طرف ترامب. لم يوفر أى منهما فرصة إلا استغلها لتجريح الآخر والتشكيك فى

قدراته، وحجبت المعارك اللفظية بينهما الخلافات الموضوعية. وليس سلوك المرشحين هذا إلا تعبيراً عن كراهية متبادلة تنامت في صفوف قطاعات من أنصارهما، على نحو أظهره استطلاع أجرته مجموعة بيو البحثية في أكتوبر 2019. ويتطلب هذا التطور الخطير دراسة منهجية⁰ ولكن إذا كان لنا من استنتاج مؤقت يمكن أن يكون ضمن فرضيات هذه الدراسة، فهو أن وجود الثقافة السياسية لا يكفي لاستمرار النظام الديمقراطي، وأن رسوخها لفترة طويلة لا يحول دون اهتزازها في ظروف معينة، خاصة حين يبلغ الانقسام في المجتمع ذروته.